تعليقات حول خطاب محمود عباس في الأمم المتحدة

رامي ج. خوري•

ألقى رئيس السلطة الفلسطينية و"منظمة التحرير الفلسطينية"، محمود عباس، خطاباً مؤسفاً وغير مقنع أمام الأمم المتحدة الأسبوع الماضي، فقد طغى عليه الكلام البلاغي والوقائع القديمة والمناشدات الضعيفة التي سبق أن ردّدها مراراً وتكراراً من دون طائل، وخاطب عباس العالم بمصداقية شبه معدومة. "التهديد" الذي أطلقه بالتوقّف عن التقيّد بأحكام اتفاقات أوسلو هو تهديد أجوف لن يأخذه أحد، لا سيما الإسرائيليين، على محمل الجد، لأنه أصبح رجلاً منعزلاً يتحدّث من دون تفويض واضح من الشعب الفلسطيني – مع العلم بأنه هو من تسبّب لنفسه بهذه المشكلة.

لقد تحدّث عن التنازلات التي قدّمتها "منظمة التحرير الفلسطينية" بقبولها دولةً في الضفة الغربية وغزة، و"عدالةً نسبية" تتحقّق سلمياً عن طريق المباحثات الديبلوماسية، وهذه كلها خطوات معقولة. لكنه ردّد هذا الكلام عشرات المرات سابقاً، من دون جدوى. وناشد العالم وضع حد للجرائم الإسرائيلية والسياسات الاستعمارية، أيضاً من دون جدوى. يقول إن "منظمة التحرير الفلسطينية" جاهزة للتفاوض، لكن المنظمة لم تعد تتمتع بالمصداقية، لأن سيطرته على السياسة الفلسطينية وسياسة حركة "فتح" أجهزت على أي دور ذي مغزى يمكن أن تؤدّيه "منظمة التحرير الفلسطينية" اليوم.

الملام الوحيد هو عباس نفسه ومعاونوه القلائل، لأنه خسر الورقة الأعلى قيمة التي يحتاج إليها كي يحمل الإسرائيليين والغرب والعالم على الإصغاء إليه: الدعم من شعبه عن طريق برنامج سياسي فلسطيني وطني يحظى بالإجماع ويُنفَّذ بواسطة مجالس "منظمة التحرير الفلسطينية". لكن عباس أوقع نفسه في العجز السياسي على الساحة العالمية، باختياره تجاهل هذا المسار، وإضعاف "منظمة التحرير الفلسطينية" وتحويلها مجرد تركةٍ من الماضي، والاكتفاء بالكلام الطنّان عن ردم الهوّة مع حركة "حماس" وقطاع غزة، وفرضِ حكمه على "فتح" شأنه في ذلك شأن أي زعيم عربي سلطوي آخر يبقى في السلطة لعقود طويلة من دون تفويض شعبي شرعي. حاول على مر السنين التعويض عن هذه الأمور من خلال المفاجآت "الدراماتيكية" وحتى الخيارات المعقولة مثل الانضمام إلى الأمم المتحدة بصفة دولة غير عضو، لكنها تبقى مجرد خطوات رمزية لا تؤثّر في الظروف المعيشية البائسة التي يعاني منها الفلسطينيون في المنطقة.

التهديد الذي أطلقه عباس بإبطال اتفاقات أوسلو ينمّ عن ضعف ويأس لدى شخصٍ يهتمّ بإنعاش مكانته السياسية الشخصية في الداخل مقدِّماً إياها على الظروف المعيشية لشعبه. لا أحد يأخذ تهديده على محمل الجد. إذا توقّف عن التقيّد بأحكام اتفاقات أوسلو، سوف يتيح ذلك لإسرائيل أن

• مؤسس ومدير سابق لمعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت، وهو زميل متقدم (Senior Policy Fellow) في المعهد.

تُصعِّد إجراءاتها الهادفة إلى دفع مزيد من الفلسطينيين إلى مغادرة وطنهم والتحوّل إلى لاجئين في الخارج؛ وسوف تشهد الظروف المعيشية اليومية لملايين الفلسطينيين مزيداً من التدهور جراء إحكام الخناق الاقتصادي؛ وسوف يتحوّل بعض الفلسطينيين المحبطين من جديد نحو الصراع المسلّح ضد إسرائيل، ما سيؤدّي إلى فصول إضافية من الهجمات الإسرائيلية الوحشية على غرار العدوان الإسرائيلي على غزة العام الماضي؛ وسوف يتسبّب السأم والتململ في أوساط الدول المانحة التي تقدّم الجزء الأكبر من المساعدات التي تساهم في بقاء الفلسطينيين على قيد الحياة ودخولهم المدارس، بمزيد من التدهور في الظروف المعيشية والآفاق السياسية لملايين الفلسطينيين؛ وسوف يدعم المرشّحون للرئاسة الأميركية كل خطوة تقوم بها إسرائيل وكل هجوم عسكري تشنّه.

من شأن معظم الدول الأجنبية أن تدعم السعي الفلسطيني لإقامة دولة، والحصول على المواطنة، وتأمين حياة طبيعية لملايين الفلسطينيين الذين يفتقرون إلى هذه الأمور. لكن هذا الدعم العالمي لن يتجسّد على أرض الواقع إلا عندما يتّخذ الفلسطينيون أنفسهم قرارات تستند إلى إجماع سياسي وطني ذي مصداقية، بدلاً من حب الظهور السلطوي، والتوسّل، والاستغراق في التفكير المكتئب، والمفاجآت الغريبة، وتسجيل تقدّم رمزي فارغ من أية إنجازات جوهرية.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbeirut@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar/